المكتبة الظاهرية

مخطوطة

بيان المحجة في سير الدلجة

المؤلف

عبدالرحمن بن أحمد بن رجب (ابن رجب)

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بيانات الكتاب
رقم المخطوطات
٨٢١

كتاب المجموع سير الدلجة تأليف الشيخ الإمام
العالم العلامة البحر المفهامة
زين الدين ابي عبد الرحمن الفرج بن
ابي احمد ابن رجب
الحنبلي البغدادي
رحمه الله
امين

الكتب المصرية بالقاهرة
تأسست سنة ١٣٧٣

بسم الله الرحمن الرحيم

خرج البخاري رحمه الله في صحيحه من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لن ينجو احدا منكم عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني
الله برحمته سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة والقصد
القصد تبلغوا وخرج ايضا في مواضع اخر في كتابه ولفظه ان هذا الدين يسر
ولن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة
والروحة وشيء من الدلجة وخرج ايضا من حديث عائشة عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال سددوا وقاربوا وابشروا فانه لا يدخل الجنة احدا بعمله
قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله بمغفرة ورحمة وخرج
ايضا من حديث معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سددوا وقاربوا واعلموا انه لن
يدخل احدكم عمله الجنة وان احب الاعمال الى الله ادومها وان قل اشتملت
هذه الاحاديث الشريفة على اصل عظيم وقاعدة مهمة ويتفرع عليها مسائل
السير والسلوك الى الله تعالى في طريقه الموصل اليه اما الاصل فان الانسان لا ينجيه
عمله من النار ولا يدخله الجنة وان ذلك كله انما يحصل برحمة الله ورحمته وقد
دل القرآن العزيز على هذا المعنى في مواضع كثيرة كقوله تعالى فالذين هاجروا
واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا الآية وقوله يبشرهم ربهم

برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم الاية وقوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار فقرن بينا دخول الجنة والنجاة من النار وبين المغفرة والرحمة فدل على انه لا ينال شيء من ذلك بدون مغفرة الله ورحمته قال بعض السلف الاخرة اما عفو الله او النار والدنيا اما عصمة الله او الهلكة وكان محمد ابن واسع يودع اصحابه عند موته ويقول عليكم السلام الى النار او يعفو الله فاما قوله تعالى وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون وقوله كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية فقد اختلف العلماء في معنى ذلك على قولين احدهما ان دخول الجنة برحمته ولكن اقتسام المنازل بحسب الاعمال قال ابن عيينة كانوا يرون ان النجاة من النار بعفو الله ودخول الجنة بفضله واقتسام المنازل بالاعمال والثاني ان الباء المشبهة في قوله تعالى بما كنتم تعملون وقوله بما اسلفتم في الايام الخالية باء السببية وقد جعل الله العمل سببا لدخول الجنة والباء في قوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل احدكم الجنة بعمله باء المقابلة والمعاوضة والتقدير لن يستحق احد دخول الجنة بعمل يعمله فازال بذلك توهم من يتوهم ثمن الاعمال وان صاحب العمل يستحق على الله دخول الجنة كما يستحق من دفع ثمن سلعة الى صاحبها تسليم سلعته فنفى بذلك هذا التوهم وبين ان العمل وان كان سببا لدخول الجنة فانما هو من فضل الله ورحمته فصار الدخول مضافا الى فضل الله ورحمته ومغفرته لانه هو المتفضل بالسبب والمسبب المرتب عليه ولم يقع الدخول مرتبا على العمل نفسه وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول للجنة انت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي وفي هذا قيل ٥٥ ما للعباد عليه حق واجب ٥٥ كلا ولا فضل لديه ضايع ٥٥٥٥٥٥ ان عذبوا فبعدله او نعموا ٥٥ فبفضله وهو الكريم الواسع ٥٥٥٥ فان قيل روى حبيب ابن الشهيد عن الحسن انه قال الحمد لله ثمن كل نعمة ولا اله الا الله ثمن الجنة وروى هذا المعنى مرفوعا من حديث ابي ذر وانس وغيرهما

وان كان

وان كان في اسنادها ضعف وشهد لذلك قوله عز وجل ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم فجعل الجنة ثمنا للنفوس والاموال فالجواب ان الله سبحانه وتعالى بفضله وكرمه ومنه وطوله خاطب عباده بما عاهد بهم اليه من طاعته على حسب ما يتعارفونه بينهم في تصرفاتهم المعهودة المألوفة لهم وجعل نفسه مشتريا منهم ومستقرضا وجعلهم بايعين له ومقرضين له ليكون ذلك ادعى الى استجلابهم لدعوته وبادر بهم الى طاعته والا ففي الحقيقة الكل لله ملك ومن فضله واحسانه ورحمته فالنفوس والاموال كلها ملك له كما امرنا ان نقول عند المصائب انا لله وانا اليه راجعون ومع هذا فقد مدح من بذل نفسه وماله وجعله بايعا له ومقرضا كما مدح من باع ملكه لله يبيعه ويعرضه لغيره مما لا يملكه عليه كذلك الاعمال كلها من فضله ورحمته وقد مدح عليها ونسبها الى عاملها وجعلها شكرا منهم لنعمه ومكافات لها وقد روى ابن ماجه من حديث انس مرفوعا ما انعم الله على عبد نعمة فقال الحمد لله الا كان ما اعطى افضل مما اخذ وكذا قال عمر ابن عبد العزيز والحسن وغيرهما من السلف واشكل ذلك على كثير من العلماء قديما وحديثا وعلى ما قررناه معناه ظاهر فان المراد بالنعم النعم الدنيوية والحمد على النعم الدينية والنعم الدينية افضل من النعم الدنيوية ولكن لما كان الحمد منسوبا الى العبد لتعلقه وقيامه به جعله الله معطيا لاعظم النعمتين مكافيا بها للنعمة الاخرى ولهذا جاء في الاثر الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويدافع نقمه ويكافئ مزيده فهذا الاعتبار يكون الحمد ثمنا للجنة وعند تحقيق النظر فالجنة والعمل كلاهما من فضل الله ورحمته على عباده المؤمنين ولهذا تعد اهل الجنة عند دخولها الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق فلما اعترفوا بنعمته عليهم بالجنة وباسبابها من الهداية وحمد الله على ذلك كله جعلوا بان تعدوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون فاضيف العمل اليهم وشكروا

عليه ونظير هذا ما قاله بعض السلف ان العبد اذا اذنب ثم قال يارب انت قضيت علي قال ربه انت اذنبت وانت عصيت فان قال العبد يارب انا اخطأت وانا اذنبت وانا اسأت قال الله تعالى انا قضيت عليك وقدرت وانا اغفر لك وما يتحقق به قول النبي صلى الله عليه وسلم لن يدخل احد الجنة بعمله اولن ينجي احدا عمله ان مضاعفة الحسنات انما هي من فضل الله عز وجل واحسانه حيث جازا بالحسنة عشرا ثم ضاعفها الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة فهذا كله فضل منه عز وجل ولو جازا بالحسنة مثلها كالسيئة لم تغلب الحسنات على احباط السيئات فكان يهلك صاحب العمل لا محالة كما قال ابن مسعود في صفة الحسنات ان كان وليا لله فتفضل له مثقال ذرة ضاعفها الله له حتى يدخله بها الجنة وان كان شقيا قال الملك يارب فنيت حسناته وبقي له طالبون كثير قال خذوا من سيئاتهم فاضيفوها الى سيئاته ثم صكوا له صكا الى النار فتبين بهذا ان من اراد الله سعادته اضعف الله له الحسنات حتى يستوفي منه الغرماء ويبقى له مثقال ذرة فتضاعف له ويدخل بها الجنة وذلك بما فضل الله ورحمته ومن اراد شقاوته وله غرماء لم يضاعف حسناته كما تضاعف لمن اراد الله سعادته بل يضاعفها عشرا فتقسم على الغرماء فيستوفونها كلها ويبقى لهم عليه مظالم فيطرح عليه من سيئاتهم فيدخل بها النار فهذا عدل وذلك فضله ومن هنا قال يحيى بن معاذ اذا بسط فضله لم يبق لاحد حسنة واذا جاء عدله لم يبق لاحد سيئة وايضا فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من نوقش الحساب هلك وفي رواية عذب وفي رواية خصم وخرج ابو نعيم من حديث علي مرفوعا اوحى الله الى نبي من الانبياء انبياء بني اسرائيل قل لاهل طاعتي من امتك لا يتكلوا على اعمالهم فاني لا اناضي عبدا الحساب يوم القيمة اشاء ان اعذبه الا عذبته وقل لاهل معصيتي من امتك لا يقنطوا بايديهم فاني اغفر الذنب العظيم ولا ابالي وقال عبد العزيز بن ابي رواد اوحى الله الى داود عليه السلام يا داود بشر المذنبين وانذر المصدقين فكانه عجب فقال يارب ابشر المذنبين وانذر المصدقين قال نعم بشر المذنبين انه لا يتعاظمني ذنب اغفره وانذر المصدقين اني لا اضع عدلي وحسابي على احد الا هلك وقال ابن عيينة المناقشة سوء الاستقصاء حتى لا يترك منه شيء وقال ابن زيد الحساب الشديد الذي ليس فيه شيء من العفو والحساب اليسير الذي تغفر ذنوبه

ذنوبه ويقبل حسناته فتبين بهذا انه لا نجاة للعبد بدون المغفرة والعفو والرحمة والتجاوز وانه متى اقيم العدل المحض على عبد هلك ومما يبين ذلك ايضا قوله تعالى لتسئلن يومئذ عن النعيم فهذا يدل على ان الناس يسئلون عن النعيم في الدنيا هل قاموا بشكره ام لا فمن طولب بالشكر على كل نعمة من عافية وستر وصحة جسم وسلامة حواس وطيب عيش واستقصي على ذلك لم تف اعماله كلها بشكر بعض هذه النعم وبقي سائر النعم غير مقابلة بشكر فيستحق صاحبها العذاب بذلك وخرج الخرائطي في كتاب الشكر من حديث علي بن عمر مرفوعا يؤتى بعبد يوم القيمة فيوقف بين يدي الله عز وجل فيقول الله للملائكة انظروا في عمل عبدي ونعمي عليه فينظرون فيقولون ولا بقدر نعمة واحدة من نعمك عليه فيقول انظروا في عمله سيئه وصالحه فينظرون فيجدونه كفافا فيقول عبدي قد قبلت حسناتك وغفرت لك سيئاتك وقد وهبت لك نعمي فيما بينك وذكر الطبراني من حديث ابن عمر مرفوعا ياتي الرجل يوم القيمة بالعمل لو وضع على جبل لاثقله فتتقدم النعمة من نعم الله فتكاد ان تستغرق ذلك الا ان يتطاول الله برحمته وخرج ابو الدنيا من حديث انس مرفوعا يؤتى بالنعم يوم القيمة ويؤتى بالحسنات والسيئات فيقول الله للنعمة من نعم حقك من حسناته فما تترك له حسنة الا ذهبت بها وباسناده عن وهب ابن منبه قال عبد عابد خمسين سنة فاوحى الله اليه اني قد غفرت لك قال يارب ولم لا تغفر لي ولم اذنب فاذن الله لعرق في عنقه فضربه عليه فلم ينم ولم يصل ثم سكن ونام واتاه ملك فشكا اليه ما لقي من ضربان العرق فقال الملك ان ربك عز وجل يقول عبادتك خمسين سنة تعدل سكون ذلك العرق وفي صحيح الحاكم عن جابر مرفوعا عن جبريل عليه السلام ان عابدا عبد الله تعالى على رأس جبل في البحر خمس مائة سنة ثم سال ربه ان يقبضه ساجدا قال جبريل فنحن نمر عليه اذا هبطنا واذا عرجنا ونجده في العلم انه اذا بعث يوم القيمة فيوقف بين يدي الله عز وجل فيقول الله عز وجل ادخلوا عبدي الجنة برحمتي فيقول العبد بعملي يارب يفعل ذلك ثلاث مرات ثم يقول الله تعالى للملائكة قايسوا عبدي بنعمي عليه وبعلمه فيجدون نعمة البصر تحيط بعبادة خمس مائة سنة وبقية نعم الجسد له فيقول ادخلوا عبدي النار فيجر الى النار فينادي بربه جل جلاله يارب ادخلني الجنة فيدخله الجنة قال جبريل انما الاشياء برحمة الله يا محمد فمن حقق معرفة ذلك الامر علم ان العمل وان عظم فانه لا يستقل بنجاة العبد

ولا يستحق به على الله دخول الجنة ولا النجاة من النار وحينئذ فيفلس العبد
من عمله ويئس من الاتكال عليه وخفف النظر اليه وان كثر العمل وحسن فكيف بمن
ليس له عمل كثير وليس له عمل حسن فان هذا ينبغي ان يشغله الفكر في التقصير
في عمله ويشغله التوبة مما تعصيره والاستغفار منه فاما من حسن عمله وكثر
فانه ينبغي له ان يشتغل بالشكر عليه فان ذلك من اعظم نعم الله على عبده فيجب مقا
بلته بالشكر عليه وبرؤية التقصير في القيام بشكره كما كان وهيب ابن الورد اذا سئل عن
اجر عمله من الاعمال يقول لا اسأل الله عن اجره ولكن سلوا عما يجب علي من هذه له
من الشكر عليه وكان ابو سليمان الداراني يقول يعجب عاقل بعمله وانما يعد العمل نعمة من نعم الله
عز وجل انما ينبغي له ان يشكر ويتواضع انما يعجب بعمله القدرية الذين لا يرون اعمال العبا
د مخلوقة لله عز وجل وما احسن ما قال ابو بكر النهشلي يوم مات داود الطائي و
قام ابن سماك بعد دفنه يثني عليه بصالح عمله ويبكي والناس يبكون ويصدقونه مقالته
ويشهدون بما يثني عليه فقام ابو بكر النهشلي فقال اللهم اغفر له وارحمه ولا تكله الى عمله
وفي سنن ابي داود عن زيد ابن ثابت مرفوعا لو عذب الله اهل سمواته واهل ارضه لعذ
بهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم لكانت رحمته خيرا لهم من اعمالهم وفي صحيح الحاكم عن جا
بر ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله لي مرتين او ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قل اللهم مغفرتك اوسع من ذنوبي ورحمتك ارجى عندي من عملي فقالها ثم قام وعد
فعاد فقال قم فقد غفر الله لك وقيل في هذا المعنى ذنوبي اذا فكرت فيها كثيرة
ورحمة ربي من ذنوبي اوسع وما طمعي في صالح قد عملته ولكني في رحمة الله
اطمع فاذا تقرر ذلك ايها الاصل العظيم وعلم ان العمل بنفسه لا يوجب النجاة
من النار ولا دخول الجنة فضلا عن ان يوجب بنفسه الوصول الى اعلى منازل الجنة من
منازل المقربين والنظر الى وجه رب العالمين وانما ذلك كله برحمة الله وفضله ومغفرته
فذلك يوجب على المؤمن ان يقطع نظره عن عمله بالكلية وان لا ينظر الا الى فضل الله
ومنه عليه كما سئل بعض العارفين اي الاعمال افضل قال ربوبية فضل الله عز وجل وانشد
ايها المتعاديرا اذا ساعدت ... الحقت العاجز بالحازم ... فيتعين على العبد المؤمن الطا
لب للنجاة من النار ولدخول الجنة والقرب من مولاه والنظر اليه في دار كرامته ان

يطلب

يطلب ذلك بالاسباب الموصلة الى رحمة الله ومغفرته ورضاه ومحبته فبها ينال
ما عند الله من الكرامة اذ الله سبحانه وتعالى قد جعل للوصول الى ذلك اسبابا من الاعمال الصالحة التي
جعلها موصلة اليها وليس ذلك موجودا الا فيما شرعه الله لعباده على لسان رسوله واخبر عنه
رسوله انه يقرب الى الله ويوجب رضوانه ومغفرته وانه مما يحبه الله واحب الاعمال الى الله
عز وجل قال الله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين وقال ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين
يتقون فالواجب على العبد البحث عن خصال التقوى وخصال الاحسان التي شرعها الله في كتابه
او على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم والتقرب بذلك الى الله عز وجل فانه لا طريق للعبد يوصله الى رضى
مولاه وقربه ورحمته وعفوه ومغفرته سوى ذلك وقد اشار النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الاحاديث
المشار اليها في اول الجزء ما رواه عائشة وابن هريرة الى ان احب الاعمال الى الله شيئان احدهما
ما داوم عليه صاحبه وان كان قليلا وهكذا كان عمل النبي صلى الله عليه وسلم وعمل آله وازواجه من بعده
وكان ينهى عن قطع العمل وقال لعبد الله بن عمرو بن العاص لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل
فتركه اي قيام الليل وقال يستجاب لاحدكم ما لم يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لي فيستحسر
عند ذلك ويدع الدعاء قال الحسن اذا نظر اليك الشيطان فرآك مداوما على طاعة الله عز
وجل فيناك ويبالي فاذا رآك مداوما تمكث ورفضك واذا رآك مرة هكذا ومرة هكذا طمع فيك الثاني ان احب الاعمال الى الله ما كان على وجه السداد والاقتصاد والتيسير
دون ما كان على وجه التكلف والاجتهاد والتعسير كما قال تعالى وما جعل عليكم في الدين من
حرج وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول يسروا ولا تعسروا وابشروا ولا تنفروا بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين وفي
المسند عن ابن عباس قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاديان احب الى الله عز وجل قال الحنيفية السمحة وفيه
ايضا عن محجن ابن الادرع ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فرأى رجلا قائما يصلي فقال اتراه صا
دقا فقيل يا نبي الله هذا فلان هذا ما احسن اهل المدينة او من اكثر اهل المدينة صلاة فقال لا
تسمعه فتهلكه مرتين او ثلاثا انكم امة اريد بكم اليسر وفي رواية اخرى له قال ان خير دينكم ايسره
وفي رواية اخرى له انكم لن تنالوا هذا الامر بالمغالبة وخرج حميد ابن زنجويه وزاد فيه فقار
واكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا العدوة والروحة وشيء من الدلجة وفي المسند
عن بريدة قال خرجت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي فلحقته فاذا انا بين يديه برجل يصلي
يكثر الركوع والسجود فقال اتراه مرائيا قلت الله ورسوله اعلم قال لكني ارى ليده من يريد ان يجعل يصوبها
ويقول عليكم هديا قاصدا عليكم هديا قاصدا عليكم هديا قاصدا فانه من يشاد هذا الدين يغلبه

الألوكة
www.alukah.net

وقد روي من وجه آخر مرسل فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن هذا آخذ بالعسر وإما آخذ باليسر ثم دفع في صدره فخرج من المسجد ولم ير فيه بعد ذلك وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم على من عزم على التبتل والاختصاء وقيام الليل وصيام النهار وقراءة القرآن كل ليلة كعبد الله بن عمرو بن العاص وعثمان بن مظعون وللمقداد وغيرهم وقال ولكني أصوم وأفطر وأقوم وأنام وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني وانتهى بعبد الله بن عمرو أن يقرأ القرآن في كل سبع وفي رواية أنه انتهى إلى قراءته في ثلاث وقال لا يفقه من قرأه في أقل من ثلاث وانتهى به في الصيام إلى صيام داود وقال لا أفضل من ذلك وفي القيام إلى قيام داود عليه السلام فقوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة وعائشة سددوا وقاربوا المراد بالتسديد العمل بالسداد وهو القصد والتوسط في العبادة مما لا يقصر فيه عما أمر به ولا يتحمل منها ما لا يطيقه وقال المظفر بن شميل السداد القصد في الدين والسبيل وكذلك المقاربة المراد بها التوسط بين التفريط والإفراط فهما كلمتان بمعنى واحد أو متقاربتان وهو المراد بقوله في الرواية الأخرى وعليكم هديا قاصدا قوله وأبشروا معناه أن من مشى في طاعة الله على التسديد والمقاربة فليبشر فإنه يصل ويسير الذئب المجتهد في الأعمال فإن طريقة الاقتصاد والمقاربة أفضل من غيرها فمن سلكها فليبشر بالوصول فإن الاقتصاد في سنة خير من الاجتهاد في غيرها وهدي محمد صلى الله عليه وسلم فمن سلك طريقه كان أقرب إلى الله من غيره وليست الفضائل بكثرة الأعمال البدنية لكن بكونها خالصة لله صوابا على متابعة السنة وبكثرة معارف القلوب وأعمالها فمن كان بالله أعرف وبدينه وأحكامه وشرائعه وله أخوف وأحب وأرجى فهو أفضل مما ليس كذلك وإن كان أكثر منه عملا بالجوارح وإلى هذا المعنى أشارت في حديث عائشة رضي الله عنها في قوله صلى الله عليه وسلم سددوا وقاربوا واعلموا أنه لن يدخل الجنة أحد منكم عمله وإن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل فأمر بالاقتصاد في العمل وإن يضم إلى ذلك العلم بأنه أحب الأعمال إلى الله وبأن العمل وحده لا يدخل الجنة ولهذا قال بعض السلف ما سبقهم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره وقال بعضهم الذي في صدر أبي بكر رضي الله عنه المحبة لله ولرسوله والنصيحة لعباده وقال طائفة من العارفين ما بلغ ما بلغ بكثرة صيام ولا صلاة ولكن بسخاوة الأنفس وسلامة الصدور والنصيحة للأمة زاد بعضهم وبذم نفوسكم وقال آخر منهم إنما تفاوتوا بالإرادات ولم يتفاوتوا بكثرة الصيام والصلاة وذكر لابن سليمان طول اعمار بني إسرائيل وشدة اجتهادهم في الأعمال وأن من الناس من غبطهم بذلك فقال إنما يريد الله منكم صدق النية فيما عنده أو كما قال وقال أبو يزيد رأيت ربي عز وجل في المنام فقلت له يا رب كيف الطريق إليك فقال اترك نفسك وتعال ما

اعطيت

والابكار في ذكر زكريا عليه السلام وقالوا لا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وقال واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وقال فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا وقالوا وسبح بالعشي والابكار فهذه الأوقات الثلاثة فيها وقتان وهما أول النهار وآخره يجتمع في كل هذين الوقتين عملان عمل واجب وعمل تطوع فأما الواجب فهو صلاة الصبح وصلاة العصر وهما أفضل الصلوات الخمس وهما البردان اللذان من حافظ عليهما دخل الجنة وقد قيل في كل منهما إنها الصلاة الوسطى وأما التطوع فهو ذكر الله بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس وبعد صلاة العصر حتى تغرب الشمس وقد ورد في فضله نصوص كثيرة وكذلك ورد في النصوص الكثيرة في أذكار الصباح والمساء وفي فضل من ذكر الله حين يمسي وحين يصبح وقد روي من حديث ابن عمر مرفوعا ابن آدم اذكرني في ساعة من أول النهار وساعة من آخره أغفر لك ما بين ذلك الا الكبائر أو تتوب منها وكان السلف الصالح لآخر النهار أشد تعظيما من أوله قال ابن المبارك بلغنا أنه من ختم نهاره بذكر الله كتب نهاره كله ذكرا وقال أبو الجلد بلغنا أن الله ينزل كل يوم إلى السماء الدنيا ينظر إلى أعمال بني آدم ورأى بعض السلف أبا جعفر القارئ في المنام فقال له قل لأبي حازم يعني الأعرج الزاهد ليس أن الله وملائكته يتراؤن مجلسك بالعشيات والظاهر أن أبا حازم كان يقص على الناس آخر النهار وقد جاء في الحديث أن الذكر بعد الصبح أفضل من أربع رقاب وبعد العصر أحب من ثمان رقاب وأيضا فيوم الجمعة آخره أفضل من أوله لما يرجى في آخره من ساعة الإجابة ويوم عرفة آخره أفضل من أوله لأنه وقت الوقوف وكذلك آخر الليل أفضل من أوله كذا قاله السلف واستدلوا بحديث النزول الإلهي وهذا كله يرجح به قول من قال إن صلاة العصر هي الوسطى وأما الوقت الثالث فهو الدلجة والادلاج سير آخر الليل والمراد به هاهنا العمل في آخر الليل وهو وقت الاستغفار كما قال تعالى والمستغفرين بالأسحار وبالأسحار هم يستغفرون وهو آخر أوقات النزول الإلهي للتضمن لاستغراق الحوائج أي حوائج السائلين واستغفار المذنبين وتوبة التائبين وسط الليل للمحبين الخلوة بحبيبهم وآخر الليل للمذنبين يستغفرون لذنوبهم من عجز عن مشاركة المحبين في الجري معهم في ذلك المضمار فلا أقل من مشاركة المذنبين في الاعتذار ورد في بعض الآثار إن العرش يهتز من السحر قال طاوس ما كنا نظن إلا أن أحدا ينام في السحر وفي الحديث الذي خرجه الترمذي من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل سير الدلجة آخر الليل يقطع به سفر الدنيا والآخرة ولهذا في الحديث الذي خرجه مسلم إذا سافرتم فعليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل قال بعض الفضلاء اصبر على مضض الادلاج بالسحر ففي الرواح على الطاعات والمكبر لا تضجرن ولا تجزعن مطلبها غاليا فلهم تتلف بين الياس والضجر إني رأيت وفي الأيام تجربة للصبر عاقبة محمودة الأثر

وقل

www.alukah.net

اعطيت امة من الامم ما اعطيت هذه الامة ببركة متابعة نبيها صلى الله عليه وسلم حيث كانت افضل الخلق وهديه افضل الهدي مع ما يسر الله على هذه الامة من دينه ووضع به من الآصار والاغلال عن امته فمن اطاعه فقد اطاع الله واحب الله واهتدى بهدى الله فمن جملة ما حصل لامته ببركته وتيسير شريعته ان من صلى فيهم العشاء في جماعة فكانما قام نصف الليل ومن صلى الفجر في جماعة فكانما قام الليل كله فيكتب له قيام ليلته وهو نائم على فراشه لا سيما ان نام على طهر وذكر الله حتى تغلبه عيناه ومن صام منهم ثلاثة ايام من كل شهر فقد صام الشهر كله فهو صائم لبقية الشهر في مضاعفة الله ومغفرته له في رخصة الله والطاعم الشاكر له اجر الصائم الصابر ومن نوى ان يقوم من الليل فغلبته عيناه فنام كتب له ما نوى وكان نومه عليه صدقة وقال ابو الدرداء يا حبذا نوم الاكياس وفطرهم ولهذا جاء في الحديث الصحيح رب قائم حظه من قيامه السهر وصائم حظه من صيامه الجوع والعطش وقال بعضهم كم من مستغفر ممقوت وساكت مرحوم هذا استغفر وقلبه فاجر وهذا ساكت وقلبه ذاكر وقال ابن مسعود لاصحابه انتم اكثر صوما وصلاة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم خير منكم قالوا ما ذاك قال كانوا ازهد منكم في الدنيا وارغب في الآخرة وقال ابن عباس يشير الى ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقوا على من بعدهم بشدة تعلق قلوبهم في الآخرة ورغبتهم فيها واعراضهم عن الدنيا وتصغيرها واحتقارها وان كانت في ايديهم فكانت قلوبهم منها فارغة وبالآخرة ممتلئة وهذه الحال ورثها من نبيهم صلى الله عليه وسلم فانه اشد الخلق بطلبه فراغا من الدنيا وتعلقا بالله وبالدار الآخرة مع ملابسته للخلق بظاهره وقيامه باعباء النبوة وسياسة الدين وكذلك خلفاؤه الراشدون من بعده وكذلك اعيان التابعين لهم باحسان كالحسن وعمر بن عبد العزيز وقد كان في زماننا من هو اكثر منهم صمتا وصلاة ولكنه لم يصل قلبه الى ما وصلت اليه قلوبهم من ازعاجها عن الدنيا وتوطينها للآخرة فافضل الناس من سلك طريقة النبي صلى الله عليه وسلم وخواص اصحابه في الاقتصاد في العبادة البدنية والاجتهاد في الاحوال القلبية فان سفر الآخرة يقطع بسير القلوب لا بسير الابدان جاء رجل الى بعض العارفين فقال له قطعت اليك المسافة قال لي هذا الامر يقطع المسافة فارحل نفسك بخطوة فلا ادراك قد حصل لك مطلوبك وقال بعضهم ليس الشأن فيمن يقدم الليل انما الشأن فيمن ينام الليل على فراشه ثم يصبح وقد سبق الركب وفي ذلك قيل. من لي بمثل سيرك المدلل. تمشي رويدا وتجي في الاول. وقوله صلى الله عليه وسلم اغدوا وروحوا وشيء من الدلجة يعني ان هذه الاوقات الثلاثة تكون اوقات السير الى الله بالطاعات وهي آخر الليل واول النهار وآخره وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الاوقات في قوله واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وقال وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وقال وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود وذكر الله سبحانه وتعالى طرفي النهار في مواضع كثيرة في كتابه كقوله يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا وقال واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي

وخدمه وان افضلهم منزلة لمن ينظر الى وجه الله تعالى كل يوم مرتين وخرجه الترمذي وقال ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى ازواجه ونعيمه وخدمه وسريره مسيرة الف سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ولهذا المعنى قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عن جرير بن عبد الله البجلي انكم سترون ربكم يوم القيمة كما ترون هذا القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته قال ان استطعتم ان لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها لما كان هذان الوقتان في الجنة وعدا للرؤية في حق من حافظ عليهما كان من حافظ على الصلاة في هذين الوقتين في الدنيا ممن حافظ على هاتين الصلاتين في الدنيا وصلاها على الكمال وجدهما وخشوعها وحضورها واداءها فانه يرجى له ان يكون ممن يرى الله في هذين الوقتين لا سيما ان حافظ بعدهما على الذكر وانواع العبادة حتى تطلع الشمس او تغرب فان وصل العبد ذلك بدلجة آخر الليل فقد اجتمع له السير في الاوقات الثلاثة وهي الدلجة والغدوة والروحة فيوشك ان يبلغ الصدق في هذا السير الوصول الاعظم الى ما يطلبه في مقعد صدق عند مليك مقتدر من لزم الصدق في طلبه اداه الصدق الى مقعد الصدق وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق لا يقطع السؤال عن الحق ويحب ويتجسس الاخبار ويشم الرياح ويستدل بالآثار لسلوك الطريق الى محبوبه واسأل الله عنها فهل من مخبر فما لي بنعم بعد مكشاعلم فلو كنت ادري اين خيم اهلها اذ ظعنوا ام اذ لسلكنا مسلك الريح خلفها ولو اصبحت نعم ومن دونها النجم لعقد كبدي هيم الله مطلبها وشرفت نفوس الله بحبها ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما لك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء ان ارادتك حبه ان الحب بكل بريضرع فيه كل امرء ما يطلب فمن كان يطلب الله فلا قيمة له ومن طلب الله فهو اجل من ان يقدم ومن طلب غيره فهو اخس من ان يكون له قيمة قال الشبلي سأركن الى الدنيا احرقتها بنارها فصارت رمادا تذهبها الرياح وسأركن الى الآخرة احرقتها بنورها فصارت سبيكة ذهب ينتفع به وسأركن الى الله احرقه بنور التوحيد فصار جوهرا لا قيمة له لعظمها لا منتهى لكبارها وهي اصغر اجل من الدهر وسئل الشبلي هل يقنع المحب بشيء من حبيبه اقبل مسألتك فانشد والله لو انك توجتني بتاج كسرى ملك المشرق لحظا ولو باموال الورى جدت لي ما ارتاح من باد ومن قد بقي وقلت لي لا تلتقي ساعة اخترت يا مولاي ان التقي من كبرة همته لم يرض بشيء سوى الله سبحانه وتعالى كل عبد ورد الى الله [illegible] فساو وصاح وكذلك ذكر عن [illegible]

اعلم يا حبيبي قد عجي الله قد ناداكم كم دعيته الى الرشاد فتعرضي واجبت داعي الغي حين دعاكم والوصول الى الله نوعان احدهما في الدنيا والثاني في الاخرة فاما الوصول الذي في الدنيا به ان القلوب تصل الى معرفته فاذا عرفته احبته وانست به فمن وجدته قريبا منه لدعائه مجيبا كما في بعض الآثار ابن آدم اطلبني تجدني فان وجدتني وجدت كل شيء وان فتك فاتك كل شيء كما ان ذو النون يخرج بالليل فيردد نظره في السماء ويردد هذه الابيات حتى يصبح وهي هذه اطلبوا الا" نفسكم مثل ما وجدت انا قد وجدت سكناه ليس في هواه عناء ان بعدت قريبني او قربت منه دنا واما الوصول الاخروي فالدخول الى الجنة التي هي دار كرامته لأوليائه ولكنهم في درجاتها متفاوتون في القرب بحسب تفاوت قلوبهم في الدنيا في القرب والمشاهدة قال الله وكنتم ازواجا ثلاثة فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة والسابقون السابقون اولئك المقربون كان الشبلي يهيج في داره وينشد يقول على بعدكم لا صبر على بعدكم لا عادة القرب ولا يقوى على حجبكم ما تيمم الحب فان لم تزك العين بكرى القلب الصراط المستقيم في الدنيا يشتمل على ثلاث درجات درجة الاسلام ودرجة الايمان ودرجة الاحسان فمن سلك الى درجة الاسلام الى ان يموت عليها منعته من الخلود في النار ولم يكن له بد من دخول الجنة وان اصابه قبل ذلك ما اصابه ومن سلك درجة الايمان الى ان يموت عليها منعته من دخول النار بالكلية فان نور الايمان يطفي لهب جهنم حتى تقول يا مؤمن جز فقد اطفأ نورك لهبي وفي المسند عن جابر مرفوعا لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم بردا وسلاما حتى ان للنار ضجيجا من بردها هذا ميراث ورثه المحبون من حال ابيهم ابراهيم ففي قوله الحب نار جوى حر نار الجحيم ابردها ومن سلك على درجة الاحسان الى ان يموت عليها وصل بعد الموت الى الله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وفي الحديث الصحيح اذا دخل اهل الجنة الجنة نادى منادي يا اهل الجنة ان لكم عند الله موعودا يريد ان ينجزكموه فيقولون ما هو الم يبيض وجوهنا الم يثقل موازيننا الم يدخلنا الجنة ويجرنا من النار فيكشف فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم الله شيئا هو احب اليهم ولا اقر لاعينهم من النظر اليه وهي الزيادة ثم تلى للذين احسنوا الحسنى وزيادة كل اهل الجنة يشتركون في الرؤية وفي اوقات الرؤية تجلي اهل الجنة يرونه يوم المزيد وهو يوم الجمعة وخواصهم يرونه وجهه في كل يوم بكرة وعشيا العارفون لا يسلبهم عن محبوبهم قصر ولا بروز دونه نهر كان بعضهم يقول اذا جئت قبري زارني واذا علمت شاهدته سوتي ومزاري رؤي بعض الصالحين في المنام بعد موته فسئل عن حال رجلين من العلماء فقال تركتهما الآن بين يدي الله عز وجل يأكلان ويشربان ويتنعمان قيل له فانت قال علم قلة رغبتي في الطعام والشراب فاباحني النظر اليه" انت مرعي اذا خليت الى المرعى وقوتي اذا اردت الطعام وفي المسند عن ابن عمر مرفوعا ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه الفي سنة يرى اقصاه كما يرى ادناه ينظر الى ازواجه من الحور العين

وخدمه واحدة في امر يؤمله ويستصغر الصغير ويخاف بالكثير وقد روي ان الاشتر دخل على علي ابن ابي طالب بعد هدأة من الليل وهو قائم يصلي فقال يا امير المؤمنين بالنهار وسعر الليل وتعب فيما بين ذلك فلما فرغ من صلاته قال اسفر الاخرة طويل يحتاج الى تقطيعه بسير الليل وهو الادلاج كانت امرأة حبيب ابي محمد الفارسي تقطعه بالليل وتقول له يا حبيب فان الطريق بعيد وزادنا قليل وقوافل الصالحين قد سارت من بين ايدينا ونحن قد بقينا يا نائم الليل كم ترقده قم يا حبيب قد ذهب عنك [illegible] وخذ من الليل واوقاته وردا اذا ما الهجع الرقدة من نام حتى ينقضي ليله لم يبلغ المنزل لو جهد وقوله صلى الله عليه وسلم القصد القصد تبلغوا حث على الاقتصاد في العبادة والتوسط فيها بين الغلو والتقصير ولذلك كرره مرة بعد مرة وفي مسند البزار من حديث حذيفة مرفوعا ما احسن القصد في الفقر وما احسن القصد في الغنى وما احسن القصد في العبادة وكان لمطرف ابن عبد الله بن الشخير ابن قد اجتهد في العبادة فقال له ابوه خير الامور اوسطها الحسنة بين السيئتين وشر السير الحقحقة قال ابو عبيد يعني ان الغلو في العبادة سيئة والتقصير سيئة والاقتصاد بينهما حسنة قال والحقحقة ان يبلغ في شدة السير حتى تقوم عليه راحلته وتعطب فيبقى منقطعا به سفره انتهى ويشهد لهذه اللفظ الحديث المروي عن عبد الله بن عمرو مرفوعا ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى فاعمل عمل امرئ يظن انه لن يموت الا هرما واحذر حذرا تحذر ان يموت غدا اخرجه حميد ابن زنجويه وغيره وفي تكرير امره بالقصد اشارة على المداومة عليه فان شدة السير والاجتهاد مظنة السامة والانقطاع والقصد اقرب الى الدوام ولهذا جعل غاية القصد البلوغ كما قال وما ادراك بلغ المنزل فالمقصد في الدنيا سير الى ربه حتى يبلغ اليه كما قال تعالى يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه وقال واعبد ربك حتى ياتيك اليقين قال الحسن يا قوم المداومة المداومة فان الله لم يجعل لعمل للمؤمن اجلا دون الموت ثم تلى هذه الآية وقال ايضا نفعنا وايكم بطاعاتكم بلغكم الى ربكم عز وجل خاصلحوا مطاياكم تبلغكم الى ربكم عز وجل والمراد باصلاح المطايا الرفق بها وتعاهدها بما يصلحها من قوتها والرفق بها في سيرها فاذا احس منها بتوقف بالسير تعاهدها تارة بالتشويق وتارة بالتخفيف حتى تسير قال بعض السلف الرجا قايد والخوف سائق والنفس بينهما كالدابة الحرون فاذا فترقايدها وقصر سائقها وقفت فتحتاج الى الرفق بها كما قال حاد الابل بالبدو يبشرها دليلها وقال اغد اترين الصلح والجمالا وبما كان الخوف كالسوط تحتي الحي بالضرب بالسوط

الألوكة
www.alukah.net

على الدابة تلفت فلا بد لها من الضرب من حاد الرجا يطيب لها السير بعد ان حتى تقطع قال
ابو نزيد سمعت اعرابيا يحفز ناقته الى البيد وهي تبكي حتى سقتها وهي تضحك كما قيل اذا شكت من كلا
السير او عدها عرج القدوم فحي تحمد ميعادي فقال خليد العصري ان كلا كحبيب بلغ حبيب
فاحبوا ركم وسيروا اليه سيرا جميلا لا مصعدا ولا ميمكا فغاية السير يوصل المتعجل
ومن لا يعرف الطريق الى الله لا يسلك اليه فيه فهو والبهيمة سوى قال ذو النون السلمي من
لا يعرف الطريق الى الله ولا تبصر فيه والطريق الى الله هو سلوك صراطه المستقيم الذي بعث به رسوله
وانزل به كتابه وامر الخلق كلهم بسلوكه والسير فيه قال ابن مسعود رضي الله عنه الصراط المستقيم تركنا محمد
صلى الله عليه وسلم عليه في اذناه وطرفه الجنة وعن يمينه جواد وعن يساره جواد وثم رجال يدعون من
مر بهم فمن اخذ في تلك الجواد انتهت به الى النار ومن اخذ على الصراط انتهى به الى الجنة ثم قرا وان هذا
صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله خرجه ابن جرير وغيره فالطريق
الموصل الى الله واحد وهو صراطه المستقيم وبقية السبل كلها سبل الشيطان من سلكها قطعت به عن
الله واوصلته الى دار سخطه وغضبه وعقابه فربما سلك الانسان في اول امره على الصراط المستقيم
ثم ينحرف عنه آخر عمره فيسلك بعض سبل الشيطان فينقطع عن الله ويهلك ان احدكم ليعمل بعمل اهل
الجنة حتى ما يكون بينها وبينه الا ذراع او باع فيعمل عمل اهل النار فيدخلها وربما سلك الرجل اولا
بعض سبل الشيطان فتدركه السعادة فيسلك الصراط المستقيم في آخر عمره فيصل به الى الله وهو الشان
كل الشان في الاستقامة على الصراط المستقيم من اول السير الى الله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله
يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم ما اكثر من يرجع من اثناء الطريق او
ينقطع فان القلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة
الدنيا وفي الآخرة (خليلي قطاع الطريق اليكما كثير واما الواصلون فقليل) وفي الحديث الصحيح الالهي
يقول الله عز وجل من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ومن
اتاني يمشي اتيته هرولة وفي المسند زيادة والله اعلى واجل والله اعلى واجل وفيه ايضا يقول الله يا ابن آدم قم الي امشي اليك وامشي الي اهرول اليك من اقبل الينا تلقيناه
من بعيد ومن اراد مرادنا اردنا ما يريده ومن سالنا اعطيناه فوق المزيد هو من عمل بقربنا
نناله الحديد يا هذا لو قصدت باب والي الشرطة لما اقبل اليك ولا تلقاك وربما حجبك عن
الوصول اليه واقصاك وملك الملوك يقول من اتاني مشيا اتيته هرولة وانت معرض وعلى
غيره مقبل لقد خسرت اكبر خسران والله ما جلكم زاهدا الا وجدت الارض تطوى لي ولا شنت
العنس هنا بكم الا تعدت بادي يا معشر المريدين قد وضح الطريق فما هذا التاخر عن السلوك
والتعويق لقد وضع الطريق اليك جعله فما خلقا مرادك يستدعيه الي الله شك فاطر السماوات
والارض في عدم ليغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم ويجركم قد اتاكم
هداكم

فصل في قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون هذه الآية كانت تشتد على العارفين
من العارف فيما تقتضي ان من العباد من يبدو له عند لقاء الله ما لم يكن يحتسب مثل ان
يكون غافلا عما بين يديه معرضا عنه غير عامل له ولا يحتسب له فاذا كشف الغطاء عن
تلك الاهوال الفظيعة فبدا له ما لم يكن في حسابه ولهذا قال عمر لو ان لي ملء الارض ذهبا
لافتديت به من هول المطلع وفي الحديث لا تمنوا الموت فان هول المطلع شديد وان من سعا
دة المرء ان يطول عمره ويرزقه الله الانابة قال بعض حكما السلف كم من موقف خزي يوم القيمة
لم يخطر على بالك قط ونظير هذا قوله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك
فبصرك اليوم حديد ويشتمل على ما هو اعم من ذلك وهو ان يكون له اعمال يرجو بها
الخير فتصير هباء منثورا وتبدل سيئات وقد قال تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة الآية
وقال تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا قال الفضيل في هذه الآية وبدا لهم من
الله ما لم يكونوا يحتسبون قال عملوا اعمالا لم يحسبوا انها حسنات فاذا هي سيئات ومر بنا من هذا
ان يجعل الانسان ذنبا يحتقره ويستهين به وهو عند الله عظيم وقال بعض الصحابة انكم لتعملون
اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات واصعب
من هذا من رزق له سبق عمل فرآه حسنا قال تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل
سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا قال ابن عيينة لما حضر محمد ابن المنكدر
الوفاة جزع فدعوا له ابا حازم فجاءه فقال له ابن المنكدر ان الله بدا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون فاخاف ان يبدو لي من الله ما لم اكن احتسب فجعلا يبكيان جميعا خرجه ابن ابي الدنيا
وابن ابي حاتم وزاد في ابن الدنيا فقال له دعوانا نخفف عليه فزدته وقال الفضيل اخبرت عن
سليمان التيمي انه قيل له انت وما مثلك فقال لو علموا هذا لا ادري ما يبدو لي من الله
سمعت الله يقول وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وكان سفيان الثوري عند هذه الآية يقول و
ويل لاهل الرياء من هذه الآية وهذا كما في حديث الثلاثة الذين هم اول من تسعر بهم النار العالم
والمتصدق والمجاهد وكذلك من عمل اعمالا صالحة وكانت عليه مظالم فهو يظن ان اعماله تنجيه
فيبدو له من الله ما لم يكن يحتسب فتقتسم الغرماء اعماله كلها ثم يفضل لهم فضل فيطرح من سيئاتهم
عليه ثم يطرح في النار وقد يؤتى الحساب فيطلب منه شكر النعم فما ضعفها تستوعب اعماله
له كلها وتبقى بقية النعم فيطالب شكرها فيعذب ولهذا قال عليه الصلاة والسلام من نو
قش الحساب عذب او هلك وقد يكون له سيئات تحبط بعض اعماله واعمال جوارحه سوى التو
حيد فيدخل النار وفي سنن ابن ماجه مسندا وابن ثوبان مرفوعا ان من امتي من يجيء باعمال
امثال الجبال فيجعلها الله هباء منثورا وفيه هم قوم من جلدتكم ويتكلمون بالسنتكم ويا

الألوكة
www.alukah.net

اعطيت امة من الامم ما اعطيت هذه الامة ببركة متابعة نبيها صلى الله عليه وسلم حتى كانت افضل الخلق وهديه افضل الهدي مع ما يسر الله على هذه الامة من دينه ووضع به من الآصار والاغلال عن امته فمن اطاعه فقد اطاع الله واحب الله واهتدى بهدى الله فمن جملة ما حصل لامته ببركته وتيسير شريعته ان من صلى فيهم العشاء في جماعة فكانما قام نصف الليل ومن صلى الفجر في جماعة فكانما قام الليل كله فيكتب له قيام ليلته وهو نائم على فراشه لاسيما ان نام على طهر وذكر الله حتى تغلبه عيناه ومن صام منهم ثلاثة ايام من كل شهر فقد صام الشهر كله فهو صائم لبقية الشهر في مضاعفة الله ومغفرته في رخصته والطاعم الشاكر له اجر الصائم الصابر ومن نوى ان يقوم من الليل فغلبته عيناه فنام كتب له ما نوى وكان نومه عليه صدقة وقال ابو الدرداء يا جبذا نوم الاكياس وفطرهم ولهذا جاء في الحديث الصحيح رب قائم حظه من قيامه السهر وصائم حظه من صيامه الجوع والعطش وقال بعضهم كم من مستغفر ممقوت وساكت مرحوم هذا استغفر وقلبه فاجر وهذا ساكت وقلبه ذاكر وقال ابن مسعود لاصحابه انتم اكثر صوما وصلاة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم خير منكم قالوا ما ذاك قال كانوا ازهد منكم في الدنيا وارغب في الآخرة وقد اشار الى ان اصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقوا على من بعدهم ببندرة تعلق قلوبهم في الآخرة ورغبتهم فيها واعراضهم عن الدنيا وتصغيرها واحتقارها وان كانت في ايديهم فكانت قلوبهم منها فارغة وبالآخرة ممتلئة وهذه الحال ورثوها من نبيهم صلى الله عليه وسلم فانه اشد الخلق بطلب فراغ الدنيا وتعلقا بالله وبالدار الآخرة مع ملابسته للخلق بظاهره وقيامه باعباء النبوة وسياسة الدين وكذلك خلفاؤه الراشدون من بعده وكذلك اعيان التابعين لهم باحسان كالحسن وعمر بن عبد العزيز وقد كان في زمانهم من هو اكثر منهم صوما وصلاة ولكن لم يصل قلبه الى ما وصلت اليه قلوبهم مما ارتحلها عن الدنيا وتوطنها للآخرة فافضل الناس من سلك طريقة النبي صلى الله عليه وسلم وخواص صحابه في الاقتصاد في العبادة البدنية والاجتهاد في الاعمال القلبية فان سفر الآخرة يقطع بسير القلوب لا بسير الابدان جاء رجل الى بعض العارفين فقال له قطعت البيد للبيعة قال ليس هذا الامر بقطع المسافة فارفق نفسك بخطوة فاذا كان قد حصل لك مطلوبك وقال بعضهم ليس الشأن فيمن يقدم الليل انما الشأن فيمن ينام الليل على فراشه ثم يصبح وقد سبق الركب وفي ذلك قيل. من لي بمثل سيرك المدلل. تمشي رويدا وتجي في الاول. وقوله صلى الله عليه وسلم اغدوا وروحوا وشيء من الدلجة يعني ان هذه الاوقات الثلاثة تكون اوقات السير الى الله بالطاعات وهي آخر الليل واول النهار وآخره وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الاوقات في قوله واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وقال وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وقال وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود وذكر الله سبحانه وتعالى طرفي النهار مواضع كثيرة في كتابه كقوله يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا وقال واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي

وخدمه وان افضلهم منزلة لمن ينظر الى وجه الله تعالى كل يوم مرتين وخرجه الترمذي وكذلك ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى ازواجه ونعيمه وخدمه وسريره مسيرة الف سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشيا ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ولهذا المعنى قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عن جرير بن عبد الله البجلي انكم سترون ربكم يوم القيمة كما ترون هذا القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته قال فان استطعتم ان لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها لما كان هذان الوقتان في الجنة وتمتاز الرؤية في حق خواص اهل الجنة خص صلى الله عليه وسلم على المحافظة على الصلاة في هذين الوقتين في الدنيا فمن حافظ على هاتين الصلاتين في الدنيا وصلاها على اكمل وجوهها وخشوعها وحضورها واداميها فانه يرجى له ان يكون ممن يرى الله في هذين الوقتين لاسيما ان حافظ بعدهما على الذكر وانواع العبادة حتى تطلع الشمس او تغرب فان وصل العبد ذلك بدلجة آخر الليل فقد اجتمع له السير في الاوقات الثلاثة وهي الدلجة والغدوة والروحة فيوشك ان يبلغ بهذا السير الوصول الاعظم الى ما يطلبه في مقعد صدق عند مليك مقتدر من ليس الصدق في طلبه اذا وصل الصدق الى مقعد الصدق وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق لا يقطع السوال عن كل من يحب ويتجسس الاخبار ويشم الرياح ويستدل بالآثار لسلوك الطريق الى محبوبه اسألكم عنها فهل من مخبر فمالي بنعم بعد مكثنا علم فلو كنت ادري اين خيم اهلها في بلاد الله اذ ظعنوا ام اذا لسلكنا مسلك الريح خلفها ولو اصبحت نعم ومن دونها النجم لعقد كبرة هممي الله مطلبها وشرفت نفوس الله بمجالبها ولا تطرد الدنيا بدعوى ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما للحب سوى ارادة حبه ان الحب بكل بر يضرع وقيمة كل امرء ما يطلب فمن كان يطلب الله فلا قيمة له سوى طلب الله فهو اجل من ان يقوم ومن طلب غيره فهو اخس من ان يكون له قيمة قال النبلي ساركن الى الدنيا احرقته بنارها فصار رمادا تذروه الرياح وساركن الى الآخرة احرقته بنورها فصار سبيكة ذهب ينتفع به وبها وركن الى الله احرقه بنور التوحيد فصار جوهرا لا قيمة له لانتهاء لكبارها وهمتهم لصغرها اجل من الدهر وسئل النبلي هل يقنع المحب بشيء من حبيبه اقبل مسألة فانشد والله لو انك توجتني بتاج كسرى ملك المشرق لما سرني الا دوامك لي ولو ما دون الثرى جدت لي وما من بادوم قد بقي وقلت لي لا تلقني ساعة اخترتها يا مولاي ان تلقني من كبرة همته لم يرض بشيء سوى الله سبحانه وتعالى كل غدوة وروحة [illegible] مساء وصباح وكذلك ذكر [illegible]

وقد روي من وجه آخر مرسل عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان هذا آخذ بالعسر وهذا يأخذ باليسر ثم
دفع في صدره فخرج من المسجد ولم ير فيه بعد ذلك وقد أنكر النبي صلى الله عليه وسلم على من عزم على التبتل
والاختصاء وقيام الليل وصيام النهار وقراءة القرآن كل ليلة كعبد الله بن عمرو بن العاص وعثمان بن مظعون
ابن مظعون والمقداد وغيرهم وقال لكني أصوم وأفطر وأقوم وأنام وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني وانتهى بعبد الله بن عمرو ان يقرأ القرآن في كل سبع وفي رواية انه انتهى الى قراءته
في ثلاث وقال لا يفقه من قرأه في أقل من ثلاث وانتهى به في الصيام الى صيام داود وقال لا أفضل
من ذلك وفي القيام الى قيام داود عليه السلام فعقله صلى الله عليه وسلم في حديث ابي هريرة وعائشة
سددوا وقاربوا المراد بالتسديد العمل بالسداد وهو القصد والتوسط في العبادة فما لا يقصر
فيما أمر به ولا يتحمل منها ما لا يطيقه وقال النظر ابن شميل السداد القصد في الدين والسبيل وكذلك
المقاربة المراد بها التوسط بين التفريط والافراط فهما كلمتان بمعنى واحد او متقاربتان
وهو المراد بقوله في الرواية الاخرى وعليكم هديا قاصدا قوله وابشروا يعني ان من مشى
في طاعة الله على التسديد والمقاربة فانه يبلغ ويصل ويسبق الذائب المجتهد في الاعمال فان
طريقة الاقتصاد والمقاربة افضل من غيرها فمن سلكها فانه يبلغ الوصول فان الاقتصاد في
سنة خير من الاجتهاد في خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم فمن سلك طريقه كان اقرب الى الله
من غيره وليست الفضائل بكثرة الاعمال البدنية لكن بكونها خالصة لله صوابا على متابعة السنة
وبكثرة معارف القلب واحوالها فمن كان بالله اعرف وبدينه واحكامه وشرائعه وله اخوف
واحب وارجى فهو افضل مما ليس كذلك وان كان اكثر منه عملا بالجوارح والى هذا المعنى الا
شارة في حديث عائشة رضي الله عنها في قوله صلى الله عليه وسلم (سددوا وقاربوا واعلموا انه لن يدخل
الجنة احد منكم عمله وان احب الاعمال الى الله ادومها وان قل فامر بالاقتصاد في العمل وان
يضم الى ذلك العلم بانه احب الاعمال الى الله وبان العمل وحده لا يدخل الجنة ولهذا قال بعض
السلف ما سبقهم ابو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره وقال بعضهم
الذي في صدر ابي بكر رضي الله عنه المحبة لله ولرسوله والنصيحة لعباده وقال طائفة من العارفين
ما بلغ ما بلغ بكثرة صيام ولا صلاة ولكن بسخاوة الانفس وسلامة الصدور والنصيحة للامة
زاد بعضهم وبذم نفوسكم وقال آخر منهم انما تفاوتوا بالارادات ولم يتفاوتوا بكثرة الصيام
والصلاة وذكر لابن سليمان طول اعمار بني اسرائيل وشدة اجتهادهم في الاعمال وان من الناس
من غبطهم بذلك فقال انما يريد الله منكم صدق النية فيما عنده او كما قال وقال ابو يزيد
رأيت ربي عز وجل في المنام فقلت له يا رب كيف الطريق اليك فقال اترك نفسك وتعال مالم

اعطيك

والابكار في ذكر زكريا عليه السلام وقالوا لا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون
وجهه وقالوا واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وقال
فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا وقالوا وسبح بالعشي والابكار فهذه الاوقات الثلاثة منها
وقتان وهما اول النهار وآخره يجتمع في كل هذين الوقتين عملان عمل واجب وعمل تطوع فاما
الواجب فهو صلاة الصبح وصلاة العصر وهما افضل الصلوات الخمس وهما البردان اللذان
من حافظ عليهما دخل الجنة وقد قيل في كل منهما انها الصلاة الوسطى واما التطوع فهو ذكر
الله بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس وبعد صلاة العصر حتى تغرب الشمس وقد ورد في فضل
هذين الوقتين نصوص كثيرة وكذلك ورد في النصوص الكثيرة في اذكار الصباح والمساء وفي فضل من ذكر الله حين
يمسي وحين يصبح وقد روي من حديث ابن عمر مرفوعا ابن آدم اذكرني ساعة من اول النهار و
ساعة من آخره اغفر لك ما بين ذلك الا الكبائر او تتوب منها وكان السلف الصالح لا آخر النهار اشد
تعظيما من اوله قال ابن المبارك بلغنا انه من ختم نهاره بذكر الله كتب نهاره كله ذكرا وقال
ابو الجلد بلغنا ان الله ينزل مساء كل يوم الى السماء الدنيا ينظر الى اعمال بني آدم ورأى بعض
السلف ابا جعفر القاري في المنام فقال له قل لابي حازم يعني الاعرج الزاهد اليس ان الله و
ملائكته يتراءون مجلسك بالعشيات والظاهر ان ابا حازم كان يقص على الناس آخر النهار وقد
جاء في الحديث ان الذكر بعد الصبح افضل من اربعة رقاب وبعد العصر اجب من اربعة رقاب وايضا
فيوم الجمعة آخره افضل من اوله لما يرجى في آخره من ساعة الاجابة ويوم عرفة آخره افضل من
اوله لانه وقت الوقوف وكذلك آخر الليل افضل من اوله كذا قاله السلف واستدلوا بحديث النزول الالهي وهذا كله يرجح به قول من قال ان صلاة العصر هي الوسطى واما الوقت الثالث فهو
الدلجة والادلاج سير آخر الليل والمراد به هاهنا العمل في آخر الليل وهو وقت الاستغفار كما قال
تعالى والمستغفرين بالاسحار وقال وبالاسحار هم يستغفرون وهو آخر اوقات النزول الالهي المتضمن
لاستعراض الحوائج اي حوائج السائلين واستغفار المذنبين وتوبة التائبين وسط الليل للمحبين
للخلوة بحبيبهم وآخر الليل للمذنبين يستغفرون لذنوبهم من عجز عن مشاركة المحبين في الجري معهم
في ذلك المضمار فلما اقل من مشاركة المذنبين في الاعتذار ورد في بعض الآثار ان العرش يهتز
من السحر قال طاوس ما كنت اظن ان احدا ينام في السحر وفي الحديث الذي اخرجه الترمذي من
خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل سير الدلجة آخر الليل يقطع به سفر الدنيا والآخرة ولهذا في
الحديث الذي خرجه مسلم اذا سافرتم فعليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل قال بعض الفضلا
اصبر على مضض الادلاج بالسحر ، وفي الرواح على الطاعات والبكر لا تضجرن ولا تعجزن
مطلبها فالله لهم تتلف بين الياس والضجر ، اني رأيت وفي الايام تجربة ، للصبر عاقبة محمودة الاثر

وقل

يواخذون من الليل كما تاخذون ولكنهم اذا خلوا بمحارم الله انتهكوها وخرج يقطع قال
شيبة وابن ابي الدنيا من حديث سالم مولى حذيفة يرفعه الى النبي يوم القيمة اقوام معهم من
الحسنات مثل جبال تهامة حتى اذا جيئ بهم جعل الله اعمالهم هباءً ثم اكبهم في النار قال سالم خشيت ان
اكون منهم قال اما انهم كانوا يصومون ويصلون ويأخذون لهنيهة من الليل لعلهم كانوا اذا عرض
لهم شيء من الحرام لم يأخذوه فاحبط الله اعمالهم وقد يحبط الله العمل بآفة من رياء خفي وعجب به و
لم يحذ ذلك ولا يشعر به صاحبه قال ضيغم العابد ان لم تمت الآخرة المؤمن بالسرور لقد اجتمع عليه هما
هم الدنيا وشقا الآخرة فقيل له كيف تاتيه الآخرة بالسرور وهو تعب في دار الدنيا ويدأب قال كيف
بالقبور كيف بالسلامة كم رجل يرى انه قد اصلح همته يجمع ذلك كله يوم القيمة ثم يضرب به وجهه
ومن هنا كان عامر بن عبد قيس وغيره يقلقون من هذه الآية انما يتقبل الله من المتقين وقال
ابن عون لا تشف بكثرة العمل فانك لا تدري ايقبل منك ام لا ولا تأمن ذنوبك فانك لا تدري
هل كفرت عنك ام لا ان عملك مغيب عنك كله لا تدري ما الله صانع به وبكى النخعي عند الموت
وقال انتظر سرورا ما ادري ايبشر بي بالجنة ام بالنار وجزع غيره عند الموت فقيل له لم تجزع
قال انها هي ساعة ولا ادري ابن يسلك بي وجزع بعض الصحابة عند موته فسئل عن حاله فقال ان الله
قبض خلقه قبضتين قبضة للجنة وقبضة للنار ولست ادري في اي القبضتين انا وتامل هذا
حق التامل اوجب له القلق فان ابن آدم متعرض لاهوال عظيمة من الموت واهوال القبر والبرزخ واهوال الموقف والصراط والميزان واعظم من ذلك الوقوف بين يدي الله عز وجل ودخول
النار وخلود على نفسه الخلود فيها فان يسلب ايمانه عند الموت ولم يامن للمؤمن شيئا مما هذه
الامور ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون فتحقيق هذا يمنع ابن آدم القرار ولهذا بعضهم قائلا
يعجبني كيف تنام العين وهي قريرة ولم تدر في اي المحلين تنزله وسئل بعض الموتى وكان
عابدا عن حاله فانشد يقول وليس يعلم ما في القبر داخله الا الاله وساكن الاجداث
ث وقال غيره اما والله لو علم الانام لما خلقوا لما غفلوا وناموا لقد خلقوا لما لو ابصرته
عيونا قلد بهم تاهوا وهاموا ممات ثم قبر ثم حشر وتوبيخ واهوال عظام ليوم الحشر
قد عاينوا رجال فصلوا من مخافته وصاموا ونحن اذا مررنا او نهينا كاهل الكهف
ايقاظ ونيام اه والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى اله وصحبه
اجمعين ثم تعلم العبد الفقير المقر بالذنب والتقصير راجي عفو ربه المنان سليمان ابن عبد الرحمن
الحمد عفا الله عنه ولوالديه ولمشايخه واخوانه وذريته ولجميع المسلمين الاحياء منهم والميتين آمين
وذلك في ١٨ شهر رمضان سنة ١٣٣٤